

منهج الإمام يحيى فى رسالته

تدور هذه الرسالة حول تنزيه الخالق عن مشابهة المخلوقين ، ولذلك لا عجب من أنها جاءت كجوابات لأسئلة من بعض أتباع الإمام يحيى رأى فيها أنه من الواجب الرد عليها مراعاة لحق الديانة وصلاح وورع السائل ، ولما تعلقت به من تنزيه الخالق عن كل تصور أو تخيل مادى يوهم الجسمية فى الخالق العظيم ، وما يودى إلى هذا التصور الموهم ، ومن الضروري إجابة العلماء على الناس ، لما وصى به الله العلماء من نشر العلم وعدم كتمانها .

وتلخص منهج الإمام يحيى فى بيان بطلان الجسمية والعرضية وتوابعهما عن ذات الخالق إلى بيان موقف أهل القبلة ، فهم بين منزه ومشبه ، والأخير وقع فى الجسمية لفظاً أو لفظاً ومعنى ؛ أما من خالف المسلمون من اليهود والنصارى ، فقد احتاج الأمر إلى الرد عليهم بالحجج والبيانات التى تلخصت فى استحالة قدم الأجسام أو حدوث الخالق لما يلزم من ذلك من بطلان الألوهية أو تعددها ، واستعان فى ذلك بالأدلة العقلية والشرعية ، وذهب إلى جواز الاستدلال بالشرع فى ذلك لأنه قد ثبت صحته وصحة القاعدة التى يقوم عليها وهى الحكمة ، ولا يجوز للخصوم الاستدلال به لعدم قيام الأدلة عندهم على صحة الشرع وقاعدته ، فجاز له المعارضة ، وبطل من قبلهم الإلزام .

وبعد انتهائه من المطلب الأول تطرق إلى الثانى ودار حول استحالة العرضية كذلك على الرب ، تبارك وتعالى ؛ ولا أن يسمى بما لم يسم به نفسه كالمشهى والنافر ، لأن ذلك : « يومه الخطأ وكل لفظ يومه الخطأ بان إطلاقه غير جائز إلا بتوقيف من جهة الشارع » وهذا يعنى توقيفية أسماؤه الحسنى تعالى .

وتعرض فى المطلب الثالث إلى استحالة توابع الجسمية والعرضية عليه تعالى مثل المكانية ، والجهة والحلول لذاته ، والحلول فى ذاته ، واستحالة الألم واللذة عليه ، وتابع فى ذلك منهجه فى ذكر مقالة أهل القبلة من المسلمين ثم ذكر الحجج التى تبطل المكانية عقلاً ونصاً وكذلك غيرها من التوابع الخمس التى ذكرها ، وتطرق بعد ذلك للإجابة عن أسئلة حول الماهية ، فما هو ، وأين هو وهل يجوز أن يخالط المخلوقات

أو يمازجها أو يدخل فيها أو يخرج عنها ، وهل له أعضاء ، وهو من أسئلة المشبهة ، وهل يسمع ويرى ويعلم ويشم بذاته ، وما شكله هل هو مصمت أم مجوف ، وما أجزاءه ، وهل هو في جهة أم لا ؟

وكل هذه الأسئلة الفلسفية الصعبة والعويصة تناولها الإمام يحيى من منطلق إسلامي ورؤية إسلامية في إطار المنهج العقائدي الواضح ، فاستعان بالمنهج العقلي المتمثل في البديهيات والنظر والاستدلال والاستقراء ، والمنهج النقلى المتمثل في النص القرآني وما صح وثبت من حديث رسول الله ، ﷺ ، وإن بدى ذلك قليلاً لأسباب لا مكان لذكرها هنا .

ثم تحدث عن الرؤية بين أهل القبلة والخلاف حولها ، وحاول بيان اتفاق الجميع في استحالتها في الدنيا وجوازها في الآخرة بمعنى يختلف فيه الزيدية عن غيرهم حيث يرون أنها قلبية بالرضا واليقين والطمأنينة ويرى الأشاعرة جوازها حسية في الآخرة بما يليق لله تعالى ، وهو أمر استعان على نفيه وإثباته أهل السنة وغيرهم ، غير أن هناك قدر ثابت في المسألة وهو : « أن التحقيق عندي .. تقرر أن يكون من جهة اللفظ والمعنى في الحقيقة متفق عليه » . إى استحالتها في الدنيا .

وكان للتنزيه في مسائل العدل نصيب كذلك كالتنزيه في مسائل التوحيد ، فأثبت عدله تعالى وحكمته على قاعدة القرآن والعقل وهو من أصوب وأصح ما استدل به الأصوليون في هذه المسألة ، وتبع في ذلك علماء الزيدية والمعتزلة ، ورد على الأشعرية ومن تبعهم بأدلة دامغة في هذا الشأن ، وتناول في ذلك قضية خلق أفعال العباد والتكليف وحرية الفعل الإنساني ، بين التصور الحقيقي الذي يليق بحقيقة الألوهية وما فعله الخصوم .

وفي ثنايا قضايا العدل تناول قضية خلق القرآن بموضوعية كبيره ، أعقب ذلك حديثه عن الاستطاعة والقدرة ، وانتهى إلى أن تصور العدلية من المعتزلة والزيدية في المسألة هو الصواب فالقدرة غير موجبة لمقدورها « وأنها صالحة للضدين – أى الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية – فقبل فعل العبد للفعل يمكنه ألا يفعل ، وأنه قادر على الحركة والتكوين بقدرة واحدة » .

كذلك تناول قضايا الأسماء والأحكام ، فما اسم العاصي وما حكمه ، وهل هو فاسق أم مؤمن أم مؤمن فاسق ؟ وكذلك مسألة الاجتهاد والتقليد ، وحكم تكفير وتفسير المسلمين ، ورأيه فى المسألة ، ومن هى الفرقة الناجية من النار ؟ وكان يحيى تقليدياً فى تناول هذه المسألة ، وما حكم المجتهد وشروطه وما المسائل التى يجوز الاجتهاد فيها والمسائل التى لا يجوز ؟ فأجاز ذلك فى الاحكام العملية التطبيقية ، وحذر من الخوض فى الثانية إلا فى المسائل الفرعية البسيطة التى لا تؤثر فى قضايا العقيدة الكبرى .

كما تناول فضل آل البيت وأحقيتهم بالإمامة والعلم ، جادل أبا هاشم المعتزلى فى الصفات والأحوال ، وبين رأى الزيدية الاعتدال فى هذا الشأن وبعكس مذهب الروافض المتطرف .

ختم الإمام يحيى رسالته بالتعرض لبعض المسائل الفقهية كالطهارة والطلاق ، وكذلك قضية الاجتهاد والتقليد ؛ وبعد :

لقد كانت هذه الرسالة من الشراء والغنى والأهمية مما جعلنى أسعى فى تحقيقها وإخراجها ، فمن المستحيل بقاء مثل هذا التراث الثمين رهين الظل دون أن ينتفع به السادة العلماء والدارسون ولذلك ارجو أن أكون قد قمت بدورى فى خدمة تراث امتى وإزاحة الغبار عن جزء عزيز منه ؛

والله أسأل أن يوفق للرشاد

منهجى فى التحقيق :

- ١- قمت بنسخ المخطوط وتقويمه وقراءته مرات عديدة .
- ٢- تحققت من سلامة المخطوط وسلامه ونسبته لصاحبه .
- ٣- خرجت الآيات والأحاديث .
- ٤- قسمت المخطوط ووضعت له العناوين الداخلية الضرورية .
- ٥- علقته على المسأل الضرورية ، وكذلك فسرت المصطلحات .
- ٦- قمت بتخريج الشخصيات والترجمة لها ، وكذلك إعزاء المقالات لأصحابها فى كتبهم ومصادرها كلما أمكن وتيسر .

٧- وضعت الدراسة التي جعلتها مقدمة لها وكذلك قدمت للمخطوط وبيان منهج المؤلف في وضع الخطوط الرئيسية فيها والعمل أيضا وكذلك ترجمة للمؤلف ومؤلفاته .

٨- وضعت الفهرس النهائي للموضوعات .

والله الموفق

إمام عبد الله